

4

مكر اليهود وخداعهم

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



مَكْرُ اليَهُودِ وَخِدَاعُهُمْ

قَالَ (تعالَى) :

قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ
وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾

[البقرة : ٩٧ ، ٩٨]

هذه الآيَةُ الْكريمَةَ لهَا قصَّةٌ عجيبَةٌ وطَريفَةٌ .

فقَدْ كانَ عُمرُ بنُ الْخطَّاب رضي الله عنه يحبُّ أَنْ يقْرأَ في التَّوْراة ، لكَيْ يعرِفَ نقَاطَ الاتِّفَاقِ والاخْتلافِ بينَ التَّوْراةِ والْقُرآن .

كمَا كانَ يُحبُّ مُجالَسَةَ الْيَهودِ لكي يُناقشَهُمْ ويُجادلَهُمْ في هذه الْقَضايَا الْكَثيرة

التى تتَّفِقُ فيها التَّوراةُ والقرآنُ ، ويحاولُ إقْنَاعَهُمْ بشَتَّى الطُّرُقِ ، أَنَّ منزِّلَ التَّوراةِ والإنْجيلِ والقُرآنِ هوَ اللَّه (تعالَى) ، وأَنَّ عليهِمْ أَنْ يَتَدبَّروا ذلكَ بعُقُولٍ واعيَةٍ وقُلُوبٍ مُؤْمنَةٍ لكىْ يهْديَهم اللَّهُ إلى صراطهِ الْمُسْتقيمِ .

وذاتَ يومٍ وبيْنَما كانَ عُمَرُ جالسًا مع أَحْبارِ الْيهودِ يناقشُهم ويُجادلُهُمْ ويُحاوِلُ إقْنَاعَهُمْ بالْحسنى ، إذْ قالوا لهُ :

ـ يا عُمَرُ ، لَيْسَ أَحَدٌ منَ الْمُسْلمينَ أَحَبَّ إلَيْنَا منْكَ .

فَتَعجَّبَ عُمَرُ منْ ذلكَ وقالَ فى دهْشَةٍ :

ـ ولِمَ ؟

فقالوا :

ـ لأَنَّكَ تأْتِينا وتُجَالِسُنا ، بينما لا يأْتِينا أَصْحابُكَ ولا يُجالِسُونَنَا .

فطِنَ عُمَرُ إلى ما يقْصِدُهُ الْيهُودُ ، فأَرادَ أَنْ يُعْلِمَهُمْ أَنَّه إِنما جاء لِهدَفٍ آخرَ فقالَ لَهُمْ :

ـ إِنَّما أَجيءُ لأَعْجَبَ من تصْديقِ كتابِ اللَّه بَعْضِه بعْضًا ، ومُوافَقَةِ التَّوْراةِ الْقُرْآنَ ، ومُوافقَةِ الْقُرْآنِ التَّوْراةَ .

إِنَّ عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ لم يكُنْ يزُورُ الْيَهُودَ حُبًّا فِيهمْ ولا تقرُّبًا إِليْهِمْ ، ولمْ يكُنْ يُجالِسُهُمْ لكَيْ يتعلَّمَ مِمَّا عندَهُمْ ، ولكنَّهُ كانَ يريدُ أنْ يوصِلَ لِهؤُلاءِ الْيهُودِ رِسالَةً مُعيَّنَةً ، وهي أَنَّ التَّوراةَ تُشيرُ إِلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ورِسالَته ، فَلِماذا لا يؤْمِنُونَ ؟

وَلِذَلِكَ فَقَدْ كَانَ عُمَرُ يَجْلِسُ مَعَهُمْ لِكَي يَدْعُوَهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ عِلْمٍ غَزِيرٍ وَقُوَّةٍ فِي الْحَقِّ .

وَبَيْنَمَا كَانَ عُمَرُ يُوَاصِلُ حِوَارَهُ مَعَ الْيَهُودِ ، إِذْ مَرَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَعِيدٍ ، فَقَالَ الْيَهُودُ :

ـ هَذَا صَاحِبُكَ فَقُمْ إِلَيْهِ .

وَقَبْلَ أَنْ يَقُومَ عُمَرُ مِنْ مَكَانِهِ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ مَضَى فِي طَرِيقِهِ ، دُونَ أَنْ يَلْحَقَهُ عُمَرُ ، فَجَلَسَ عُمَرُ يُوَاصِلُ حَدِيثَهُ لِكَيْ يَصِلَ إِلَى حَقِيقَةٍ مُعَيَّنَةٍ .

وَعَلَى غَيْرِ الْمُتَوَقَّعِ سَأَلَ عُمَرُ الْيَهُودَ فَجْأَةً فَقَالَ :

ـ أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابٍ ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ ؟

لَمْ يَتَوَقَّعِ الْحَاضِرُونَ السُّؤَالَ فَعَلَتْهُمُ الدَّهْشَةُ وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَقَالَ سَيِّدُهُمْ :

ـ قَدْ نَشَدَكُمُ اللَّهَ فَأَخْبِرُوهُ بِصِدْقٍ .

وَهُنَا قَالَ لَهُ الْحَاضِرُونَ :

ـ أَنْتَ سَيِّدُنَا فَأَخْبِرْهُ بِمَا تَعْلَمُ .

وَلَمْ يَجِدِ الرَّجُلُ بَدِيلاً عَنِ الصِّدْقِ ،فَقَدْ أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَنْ يَقُولَ الصِّدْقَ ، فَقَالَ فِي تَأَثُّرٍ :

ـ إِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ؟

وَهُنَا تَعَجَّبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَقَالَ لِزَعِيمِ الْيَهُودِ :

ـ فَأَنْتَ هَالِكٌ وَهُمْ هَالِكُونَ إِذَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ لَمْ تَتَّبِعُوهُ .

شَعَرَ زعيمُ الْيَهُودِ والْحَاضِرُونَ بأَنَّهُمْ فى مأْزِقٍ حقيقىٍّ ، فقد اسْتَطَاعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يحْصُلَ مِنْهُمْ على اعْتِرَافٍ خَطِيرٍ بأَنَّ مُحمداً هو رسُولُ اللَّهِ ، وأَنَّهُمْ إذا لم يَتَّبِعُوهُ فَسَيكُونُونَ مِنَ الْهَالكِينَ .

وأَدْرَكَ هؤُلاءِ الْيَهُودُ أَنَّ الْعَرَبَ والْمُشْرِكين سَيَعْلَمونَ بذلكَ ، وقد يكُونُ ذلكَ سَبَباً فى إسْلامِهِمْ ، ولذلكَ فقد اخْتَلَقُوا قِصَّةً عجيبةً لكَىْ يُبَرِّرُوا بِها عدمَ إسْلامِهِمْ ، فقالُوا لعُمرَ :

ـ إنَّ هُنَاكَ بَعْضَ الأَسْبابِ التى تَمنَعُنَا أَنْ نُسلِم .

فسأَلَهُمْ عُمَرُ عَنْ هذه الأَسْبابِ فقالُوا :

ـ إنَّ لنا عَدُوًّا من الْمَلائكةَ . وصَديقًا يَأْتى بِالْمَحَبَّةِ والسَّلامِ . فتعجَّبَ عُمَرُ مِمَّا يَسْمعُ

وسألَهُمْ فى دهْشَة :

ـ فَمَنْ عَدُوُّكُمْ ومَنْ صَدِيقُكُمْ ؟

فقَالُوا :

ـ إنَّ عَدُوَّنَا هو جبْريلُ ، وهو ملَكُ الْفَظَاظَة والْغلْظَة والْعَذَاب ، أَمَّا صديقُنَا الَّذى نُحبُّهُ فهو ميكائيلُ ، وهو ملَكُ الرَّأْفَة واللِّين والتَّيْسير .

وبَعْدَ أَن انْتَهَى هذا الْحوارُ ذهَبَ أَحدُ عُلَماء الْيَهُودِ وهو « عَبْدُ اللَّه بن صُوريا » إلى الرَّسُول ﷺ وأَخَذ يُجَادلُهُ ويَسْأَلُهُ فى أُمُور كَثيرةٍ ، وأَجابَهُ الرَّسُولُ ﷺ إجابَات شَافيَةً ثم دَعَاه بعْدَهَا إلَى الإسْلامِ .

وعنْدَئذ سأَلَهُ « عَبْدُ اللَّه بن صُوريا » قائلاً :

ـ أَيُّ مَلَك يأْتيكَ من السَّمَاء ؟

فقالَ الرَّسُولُ ﷺ :

ـ جبْريلُ ، ولَمْ يَبْعثْ اللَّهُ نبيًّا إلاَّ وهو ولِيُّهُ :

فقالَ « عَبْدُ اللَّهِ بن صُوريا » :

ـ ذاكَ عَدُوُّنَا من الْملائكةِ ، ولوْ كانَ ميكائيلُ هو الّذى ينْزِلُ عليْكَ بالْوَحْيِ لآمَنَّا بكَ ، فإنَّ جبْريل ينْزِلُ بالْعذابِ والشِّدَّةِ والْقتالِ .

ثم أَضافَ قائلاً :

ـ إنَّ جبْريل قدْ عادانا مرَّاتٍ كثيرةً ، وكانَ أَشدَّ ذلك علينا عندما أَوْحَى اللَّهُ إلى نبيِّنَا أَنَّ بيْتَ الْمَقْدسِ سيُخَرَّبُ على يدى رجُلٍ يقالُ له « بُخْتَنصَّر » ، وأَخبرنَا بالْوَقْت الذى سيَحْدُثُ فيه ذلكَ .

واسْتكْمل « عبدُ اللَّه بن صوريَا » حديثهُ قائلاً :

ـ فلمَّا كانَ الوَقْتُ الْمُحدَّدُ ، اخترْنَا رَجُلاً مِنْ أَقْوياءِ بنى إسْرائيلَ ، وبعثْنَاهُ لِكَىْ يقْتُلَ « بُخْتنَصَّر » فانْطَلَق الرَّجُلُ حتى لَقِىَ « بُخْتنَصَّر » ببابلَ ، فوجَدَهُ غُلاَمًا صَغيرًا ضَعيفًا ، فلمَّا أَرادَ أَنْ يقْتلَه منعَهُ جبْريلُ مِنْ ذَلكَ وقَالَ لهُ : إنْ كَانَ ربُّكُمْ هوَ الذى أَذنَ فى هَلاَكِكُمْ فلَنْ تُسلَّطَ عليْه ، وإنْ لمْ يكُنْ هذا فعلَى أىِّ شَىْءٍ تقْتُلُه ؟

وأَضافَ الرَّجلُ قائلاً :

ـ لقدْ صَدَقَ صاحِبُنَا جبْريلُ ورَجَعَ دُونَ أَنْ يَقْتُلَ « بُخْتُنَصَّر » فلما كَبرَ « بُخْتنَصَّرُ » واشْتَدَّ عُودُهُ وصارَ له قُوَّةٌ مَهيبَةٌ غزَا ديارنَا

وخَرَّبَ بيُوتَنا ، ولهَذا فنحْنُ نتَّخذُ جبْريلَ عدوًّا لأنهُ السَّببُ فيما حدَثَ لنا علَى يد « بُخْتَنصَّر » .

وحاولَ الرَّسولُ ﷺ أنْ يوضِّحَ لـ « عبْدِ اللَّه بنِ صُوريا » وأتْباعه منَ الْيهود خطَأَ اعْتقادهمْ ، فَالْملائكَةُ جَميعًا هم جنودُ اللَّه ، لهمْ مكَانةٌ عنْد اللَّه (تعالى) حيْثُ يعْبدُونَه ويُسبِّحونهُ ويَفْعلون ما يأْمُرهُمْ به ، لكنَّ « عبْد اللَّه بن صُوريا » كانَ قد أَصَمَّ أُذُنَيْه وانْصَرفَ دونَ أنْ يُغيِّرَ رأْيَه .

بعْد أَن انصَرفَ « عبْدُ اللَّه بنْ صُوريا » عادْ عُمرُ بنُ الْخطَّاب مُسْرِعًا ووقَفَ بيْنَ يدَىْ رسُول اللَّه ﷺ ، فاسْتقبَلهُ الرَّسُولُ ﷺ وقالَ له :

ـ يا بْنَ الْخطَّاب ، أَلَا أُقْرئُكَ آياتٍ أُنْزلَتْ علَىَّ قبْلُ ؟

فقالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ :

ـ بلى يا رسُولَ اللَّه .

فَتَلاَ الرَّسُولُ ﷺ قولَهُ (تعالَى) :

قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾

[البقرة : ٩٧ ـ ٩٩]

ولَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نفْسَهُ منَ الْبكاءِ والتَّأثُّرِ فقالَ :

ـ والذى بَعَثَكَ بالْحَقِّ نَبِيًّا ما جِئْتُ إلا لأُخْبِرَكَ بقوْلِ الْيَهُودِ ، فإذَا اللَّطيفُ الْخَبيرُ قدْ سَبَقَنى بالْخَبَرِ .

ثم أضافَ عمرُ فى تأثُّرٍ :

ـ وقدْ رأيْتنى يا رسُولَ اللَّه فى دينِ اللَّه أشدَّ مِنَ الْحَجَرِ .

لقدْ بلغَ الْيهودُ مِنَ الْغيْظِ والْحقْد على رسُولِ اللَّه ﷺ مبْلغًا عظيمًا ، وقادهُمْ هذا إلى تناقُضٍ جسيمٍ . فقدْ سمعُوا أنَّ جبْريل ينزلُ بالْوحْىِ على مُحمَّد ﷺ منْ عنْد اللَّه ، ولذلك فقدِ اخْترعُوا هذه الْقصَّةَ الْواهيةَ التى لا أصْلَ لها من الصِّحَّة ، فزعمُوا أنَّ جبْريلَ هو عدُوُّهُمْ ، لأنه ينزلُ بالْهلاك والدَّمار والْعذاب وأنَّ هذا هو السَّببُ الَّذى يمنْعهُمْ من الإيمان بمُحمَّدٍ ﷺ .

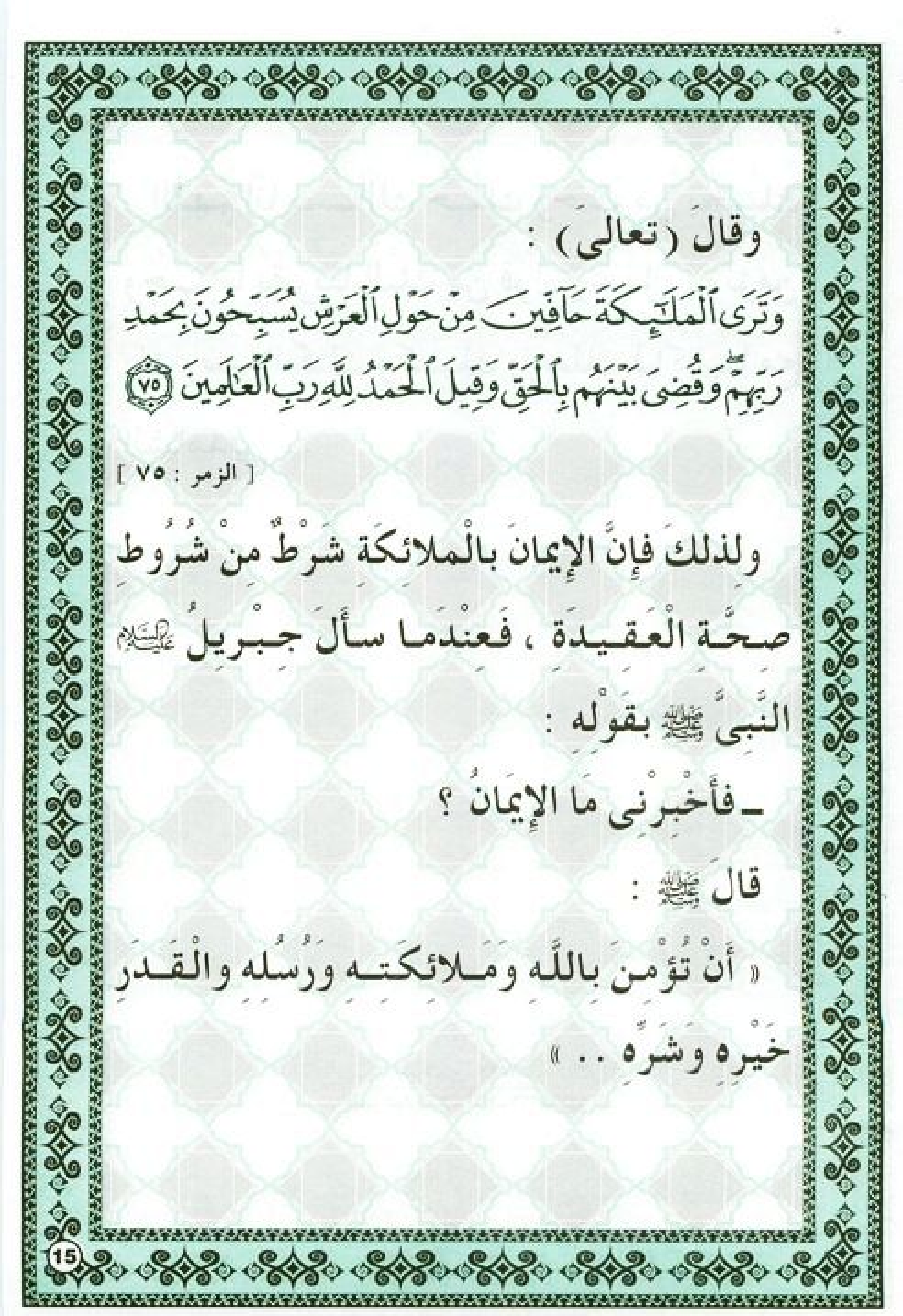
وزعمُوا أنه لوْ كانَ مكائيلُ هو الَّذى ينزلُ إلى الرَّسُول ﷺ بالْوحْىِ لآمنوا ؛ لأنَّ ميكائيل

يتنزل بالرخاء والمطر . وليس الأمر كما زعم اليهود ، فقد اخترعوا هذه القصص وروجوا لها ، حتى يطعنوا فى العقيدة والدين ، لكن الله (تعالى) كان لهم بالمرصاد فكشف زيفهم للناس جميعا ، كما كشف العلماء المسلمون زيف هؤلاء اليهود ، ولذلك نجدهم يرفضون « الإسرائيليات » : أى الحكايات اليهودية التى تفسر الدين على هواهم وأمزجتهم .

إن الملائكة هم خلق من خلق الله وعباد مخلصون لله (تعالى) ، قال (تعالى) عنهم فى محكم آياته :

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾

[الأنبياء : ٢٦ ـ ٢٨]



وقال (تعالى) :

﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ٧٥

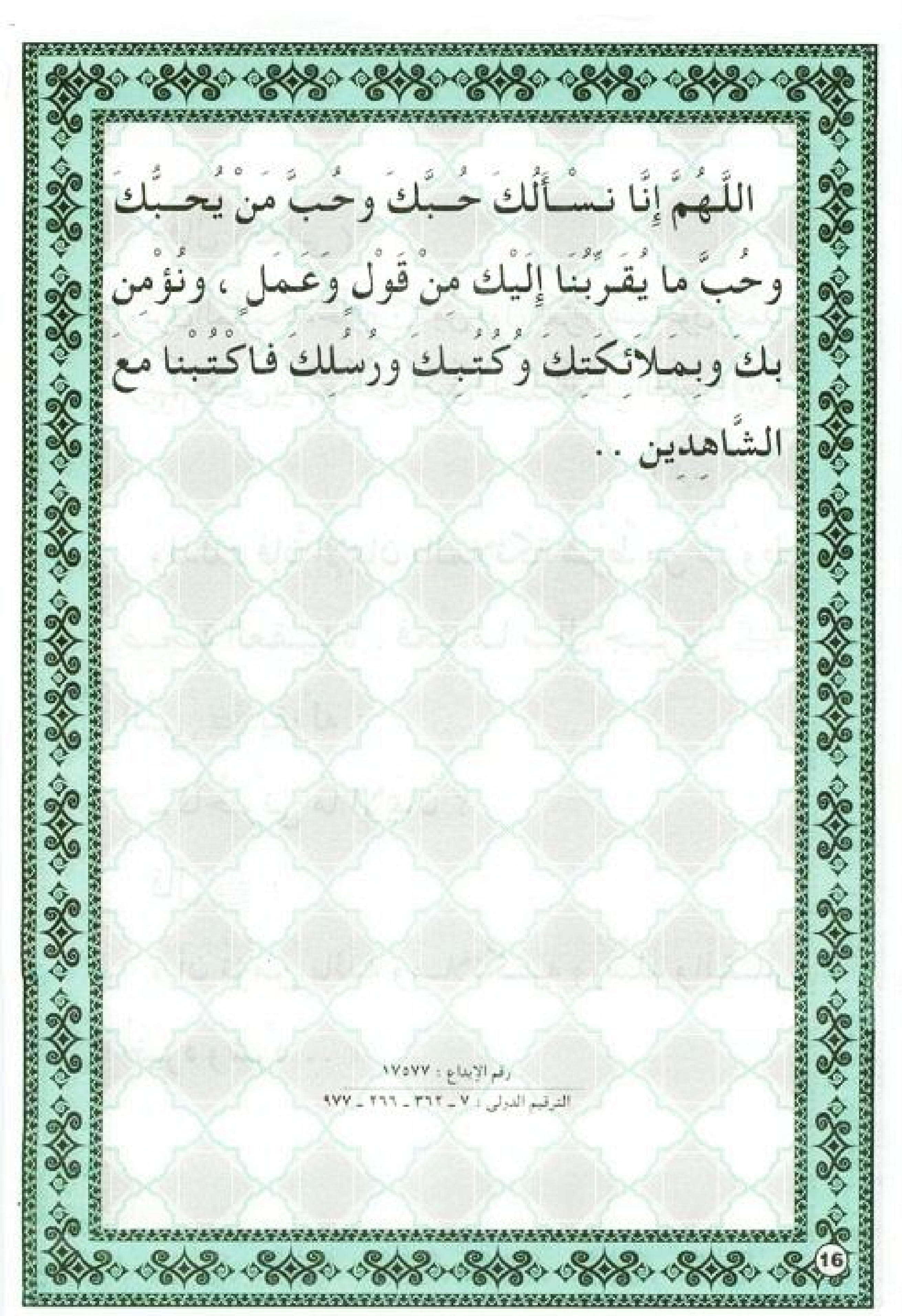
[الزمر : ٧٥]

ولِذلكَ فإنَّ الإيمانَ بالْملائكةِ شرْطٌ منْ شُرُوطِ صِحَّةِ الْعَقِيدَةِ ، فَعِنْدَما سألَ جِبْريلُ عليه السلام النَّبيَّ ﷺ بقَوْلِه :

ـ فأَخْبِرْني ما الإيمانُ ؟

قال ﷺ :

« أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ ومَلائكتِه ورُسُلِه والْقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه .. »



اللَّهُمَّ إِنَّا نسأَلُكَ حُبَّكَ وحُبَّ مَنْ يُحبُّكَ وحُبَّ ما يُقرِّبُنَا إِلَيْكَ من قَوْلٍ وعَمَلٍ ، ونُؤمِنَ بكَ وبِمَلائِكَتِكَ وكُتُبِكَ ورُسُلِكَ فاكْتُبْنا مع الشَّاهِدِين . .

رقم الإيداع : ١٧٥٧٧
الترقيم الدولي : ٧ ـ ٣٦٢ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧